دورة عقائدية مُختصَرة تتحدَّث عن اهَم المطالب العقائدية التي يَجب على الشيعي و المؤمن ان يعتقد بها و ان يكون مُحيطا و عارِفا بِدقائقها و لو بِشَكل اجمالي .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله و الصلاة على رسول الله و آله آل الله , و اللعن على اعدائهم و اعداء شيعتهم اعداء الله إلى يوم لقاء الله .

تقدّم في دروسنا الماضية من دروس المعتقدات و العقيدة في الاسابيع المتصرّمة , تقدّم الكلام في مقدمة عن العقيدة و الإعتقاد و كذلك كان الكلام في بحث في المسالك التي سلَكها اهل الدراية في الوصول إلى عقائدهم و معرفة معتقداتهم ـ و تحدّثنا عن ذلك بالقدر الذي يمكن ان يُعطي صورة عن هذه المسالك , ثم انتقل الكلام إلى أول مبحث من مباحث المعتقدات و هو التوحيد :

ـ و شرَعنا في المسألة الاولى : في مسألة اثبات وجوده سبحانه و تعالى ـ تحدّثنا عن هذه المسألة .

ـ و عن أدلة الكلاميين .

ـ و الحُكَماء الطبيعيين .

ـ و الفلاسفة و العُرَفاء .

ـ و عن أدلة الفطرة .

ـ و عن أدلة المعرفة الشهودية أو المعرفة الحضورية لأرباب القلوب .

ثم انتقلَ الكلام إلى عدم قدرة الإنسان على اكتناه الذات الإلهية , و بيَّنّا المطلب من عدّة جهات :

ـ من جهة العقل و البيانات الفلسفية .

ـ و من جهة الفطرة الإفتقارية التي يقول بها اهل المعرفة .

ـ و كذلك ما جاء في النصوص الشريفة عن الائمة المعصومين صلوات الله عليهم اجمعين .

ثم انتقلَ كلامنا إلى التفريق بين العلم و المعرفة و تحدّثنا بعض الشيء عن المعرفة الحضورية و عُلقة هذا البحث في المطالب المنطقية :

_ في مسألة العلم الحصولي .

_ و في مسألة العلم الحضوري .

و من أي العلوم تكون _ على اختلاف الآراء : المشّائية و الإشراقية بين الفلاسفة كما بيَّنتُ هذا الكلام فيما سلَف و تقريبا وصلَ الكلام إلى مسألة المعرفة الشهودية او المعرفة الحضورية .

_ و قُلنا المعرفة الحضورية : أنّها من سنخ العلم الحضوري _ على ضوء الرأي الإشراقي للمدرسة الإشراقية , شرحتُ في حينها المراد من هذا المصطلح :

_ مدرسة مشّائية .

_ و مدرسة إشراقية .

_ أو رواقية أو سفسطائية.

في حينها بيَّنتُ المقصود من هذه المصطلحات و إن كان بِشَكل موجز لأنّه لم يكُن البحث منعقدا لِدراسة المطالب الفلسفية حتى نتوَغّل في مثل هذه المباحث .

_ فَقلتُ : المعرفة الحضورية من العلم الحضوري _ من الحضور العلمي وفقا للمذهب ألإشراقي .

_ و إلاّ وفقا للمذهب المشّائي و وفقاً لِقَواعد المنطق الارسطي المعمول به الآن , المنطق القديم المعروف باعتبار هناك قواعد جديدة تُعرَف : بِقَواعد المنطق الحديث _ قواعد المنطق القديم , وفقا لِقَواعد المنطق القديم _ وفقا لأصوليات المدرسة المشّائية : فَهذه المعرفة لا تُسَمّى بمعرفة حضورية _ لماذا ؟

لأنّ المشاءين ماذا قالوا _ قالوا : إنّ العلم الحضوري _ هو حضور المعلوم بِنَفسه عند العالِم _ و الحال هل يحضر الله عند ارباب القلوب , هل يحضر بِنَفسه ؟ حينئذ إذا قُلنا يحضر بِنَفسه _ هذا حلول و اتّحاد _ و هذا باطل و لذا هذه المعرفة لا تُسَمّى في نظر _ هذه المعرفة التي _ يعني أنّ المشاءين : لا ينكرون هذه المعرفة و إن كان ذوقُهم و مشربُهم يُخالف هذا الطريق _ لكن لا ينكرونها من الجهة العلمية و المنطقية _

_ فالمعرفة الحضورية _ قُلنا : المعرفة التي لا ترتبط بِمَسألة _ الأدلة و البراهين الكلامية _ و إنّما هي المعرفة : (عميَتْ عَينٌ لا تراكَ عليها رَقيبا) المعرفة الشهودية _ المعاني التي ذكرَها سيّد

الشهداء صلوات الله و سلامه عليه في دعاء عرَفة و ربّما هذا المقطع من الدعاء عدّة مرات انا أشرت إليه و إن شاء الله في طوايا الدروس الآتية نحن نشير بعض الشيء إلى بيان معاني هذا المقطع من الدعاء الشريف , و إنْ كان هذا المقطع بِتَمامه , المقاطع التي قبلَه و المقاطع التي تأتي بعده في دعاء يوم عرفَة كلّها تَصُب في هذا المعنى لكن مع ذلك أُعيده على مسامعك حتى يحصل عندك ارتباط فيما بين الحديث السابق و فيما بين الحديث في هذا اليوم , المقطع الذي يقول فيه سيّد الشهداء صلوات الله و سلامه عليه : { إلهي كيفَ أعزِمُ و أنت القاهِر , أم كيف لا أعزمُ و أنت الآمِر , إلهي تَردُّدي في الآثار يوجِب لي بُعدَ المَزار , فاجمَعْني عليك بِخدمَة توصِلُني إليك _ فاجمَعْني عليك بِخدمَة توصِلني إليك , كيف يُستَدَلُّ عليك بِما هو في وجوده مُفتَقِرٌ إليك , أيكون لِغَيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكونَ هو المُظهِر لك , متى غِبْتَ حتى تحتاج إلى دليل يَدُلّ عليك , و متى بَعُدتَ حتى تكون الآثارُ هي التي توصِلُ إليك , عميَتْ عَينٌ لا تراكَ عليها رقيبا , و خسرَتْ صفقةُ عبدٍ لم تجعَلْ له من حُبِّكَ نصيبا } هذه المعاني هي التي يُراد منها المعرفة الحضورية , التي لا تستند إلى دليل كلامي و لا تستند إلى دليل منطقي أو برهان فلسفي أو قُلْ ما شئت من مثل هذه الامور

هذه المعرفة قُلت : في نظر الإشراقيين يُقال لها : (المعرفة الحضورية) لأنّهم لا يشترطون في تعريفهم للعلم الحضوري هو حضور صورة المعلوم _ حضور المعلوم بِنَفسه عند العالِم .

_ و إنّما حضور المعلوم بِنَفسه عند العالِم هذه مرتبة من مراتب العلم الحضوري .

_ و هناك مرتبة اخرى : و هو حضور تجلّيات _ حضور تجليات المعلوم إذا لم يكُن العالِم متمكنا من الإحاطة بالمعلوم , باعتبار أنّ العالِم و هو الإنسان لا يتمكن من الإحاطة بالمعلوم .

و بيَّنّا هذا المطلب : من جهة عقلية و فلسفية _ و من جهة وجدانية و فطرية _ و ما جاء في الروايات الشريفة فيما سلَف .

فالتجلّيات : تَجليّات المعلوم يمكن أن تُشرِق بِنَفسها في قلب العالِم _ و حينئذ هذه المعرفة معرفة حضورية _ و واقعا هي هذه المعرفة التي تتكامل فيها حقيقة الإنسان _ و إلاّ المعرفة المُستَندة إلى الدليل و البرهان هذه معرفة جدَلية بِحدود الجدَل _ بِحدود الظاهر _ بِحدود النقاش العلمي _ أمّا

المعرفة النافذة إلى القلب , لاحِظْ الآن _ أنت الآن جَرِّب هذا الامر : الآن نحن جلوس في هذا المجلس , أليس مرَّ علينا في الدروس الماضية , مثلا : من جملة الأدلة التي يستَدلُّ بها الكلاميون او حتى الفلاسفة , أليس مثلا : بُطلان التسلسل _ الآن حينما اورِد لك الدليل , مثلا اورِد لك دليل الكلاميين في بطلان التسلسل : _ أنّ هذا العالَم حادِث و لا بد له من مُحدِث و هذا المُحدِث لا بد ان يكون قديما ليس بِحادِث و لو قُلنا انّه حادِث لاقتَضى ان يكون له مُحدِث و هل هو حادِث أو ليس بِحادِث _

و حينئذ إذا وقَعنا في التسلسل فالتسلسل باطل , اقول هذا المعنى يَمُسّ قلبك ؟ _ هذه المعاني , الإنسان يستشعر فيها واقعا _ التوحيد ؟

أمّا حينما تقرأ هذا الكلام لِسيّد الشهداء : { عميَتْ عَينٌ لا تراكَ عليها رقيبا و خسرَتْ صفقةُ عبدٍ لم تجعل له من حُبّكَ نصيبا , إلهي بكَ عرَفتُك و أنت دلَلْتَني عليك و لولا أنت لم ادرِ ما أنت } في دعاء أبي حمزة الثما لي عن إمامنا السجّاد عليه السلام , حينما تقراء مثل هذه المعاني , هذه المعاني تَمَسّ القلب , هذه المعاني تَمَسّ الوجدان , فارِق بين مسألة الطريق الدليلي و الطريق البرهاني , لا يعني انّه خطأ , لا يعني انّه خطأ لكن الطريق البرهاني , الطريق الدليلي إمّا يكون بِمثابة المقدمة لِسَير الإنسان , إما يكون _ و إنْ كان العُرَفاء حتى هذا المعنى , اهل المعرفة , اصحاب اليقين لا يُقِرّون هذه المقدمة و إنّما يَجعلون المقدمة الفطرة , و إن كان حتى العُرَفاء يجعلون المقدمة الفطرة , الآن لا نريد ان ندخل في مثل هذا المبحث , ربّما يُخرِجنا عن اصل كلامنا , على أي حال نحن نقبل الطريق الذي يعتمد الدليل , يعتمد البرهان على اساس المقدمة , او قد يكون لأجل الجدَل العلمي و النقاش العلمي _ أمّا حقيقةً لا يَمَسّ القلب الإنساني _

يعني الأدلة التي ذكَرناها : أدلة الكلاميين _ أدلة الحُكَماء الطبيعيين _ أو بعض أدلة الفلاسفة لا كل ادلّة الفلاسفة لأن بعض أدلّة الفلاسفة تستند إلى هذا الطريق : إلى طريق المعرفة الحضورية _ بعض أدلة الفلاسفة _ أدلة الكلاميين _ أدلة الحُكَماء الطبيعيين , هذه التي ذكَرناها او التي لم نذكُرها و التي تكون من هذا السنخ و إنّما ذكَرنا أهَم الأدلة و أشهر الأدلة المعروفة عند هذه الاصناف من اهل العلم و الدراية , هذه الادلّة لا نَجد لها مُماسّة مع القلب , نعم من جهة علمية , من جهة عقلية

, من جهة منطقية , مقبولة صحيحة يمكن ان تُرشِد الإنسان , يمكن ان توصِل الإنسان لكن توصِل الإنسان لِبداية الطريق , تُمَكِّن الإنسان من ان يُشَخِّص الطريق , يعني هذا الإنسان الذي لا يؤمن بالتوحيد يمكن عن طريق هذه الادلّة , و ليس دائما كل انسان يستَدلّ من هذه الادلّة لكن يمكن للإنسان _ إمكان عقلي _ إمكان عملي _ إمكان علمي _ يمكن للإنسان من خلال هذه الادلّة ان يُشَخِّص الطريق , أنّ طريق الإنسانية هو التوحيد , الطريق الاسلَم , لكن السَير في هذا الطريق و التعمُّق في هذا الطريق و البلوغ إلى المراتب العالية لا يعتمد واقعا على هذه الادلّة و إنّما مَرجعُه يرجع إلى : المعرفة الحضورية و فروع المعرفة الحضورية في قلب الإنسان _

_ و نحن تحدّثنا عن الفارِق بين العلم و المعرفة :

_ و هذا الكلام ليس فقط في دائرة التوحيد .

_ حتى في دائرة معرفة النبوّة .

_ حتى في دائرة معرفة الإمامة .

_ حتى في دائرة معرفة المعاد .

و هكذا سائر المعتقدات التي يعتقدها الإنسان , مسألة المعرفة الحضورية ليس مرتبطة فقط بِمَعرفة التوحيد و إنّما بِمَعرفة النبوّة , و إنّما بِمَعرفة الإمامة , و إنّما بِمَعرفة المعاد و هكذا بِكُل الاجزاء , بِكُل التفاصيل العقائدية التي تتعلّق بِعَقيدة الإنسان _ واقعا من الاحاديث الشريفة _ لكن لا يسنح المجال ببيَان معانيه _ ربّما لو وُفِّقْنا في يوم من الايام نحن نتناول هذا الحديث الشريف بالشرح و البيان , حديث المعرفة بالنورانية المروي عن أمير المؤمنين صلوات الله و سلامه عليه , حديث طويل , هذا الحديث يتحدّث عن هذه المضامين , عن مضامين المعرفة الحضورية , عن مضامين المعرفة النورية , الحديث الشريف في مقدمته , اقتَطف هذا المقطع حتى تتّضح لك اهمية المعرفة الحضورية و اهمية المعرفة النورية للإنسان و في حياة الإنسان , ابو ذر الغفاري رضوان الله تعالى عليه يسأل سلمان الفارسي , يقول : يا أبا عبد الله و هذه كُنية سلمان معروفة في الروايات و الاخبار , يا أبا عبد الله ما معرفة الإمام أمير المؤمنين صلوات الله عليه بالنورانية ؟ لأنّ أبا ذر سمعَ بهذا الكلام : أنّه مَن لم يعرف الأمير بالنورانية ليس بِمؤمن , وردَ هذا المعنى في الروايات _ أبو ذر يسأل سلمان , يا

أبا عبد الله ما معرفة الإمام أمير المؤمنين صلوات الله عليه بالنورانية ؟ سلمان يقول : له فامضِ بنا حتى نسألَهُ عن ذلك , أبو ذر يقول : فأتَيْناهُ فلَم نَجدهُ فانتظَرْناهُ حتى جاء , فلَمّا أقبلَ صلوات الله و سلامه عليه قال : ما جاء بكُما ؟

قُلنا : جئناكَ يا أمير المؤمنين نسألُكَ عن معرفتك بالنورانية ,

فَقال : مرحبا بكُما من وَليَّيْن مُتعاهِدَين لِدينه _ لِدين الله يعني _ من وَليّيْن مُتعاهدَيْن لِدينه , لَستُما بِمُقَصِّرَيْن _ الإمام هذه الاوصاف يُعيطهما _ يعطيه _ يعطي هذه الاوصاف لَهما لأجل أنّهم يبحثون في هذه الدائرة _ مرحبا بكُما من وَليَّيْن مُتعاهِدَين لِدينه , لَستُما بِمُقَصّرَين , ثم يقول : **و لَعَمري إنّ ذلك الواجبُ على كلِّ مؤمنٍ و مؤمنة** _ عَمري هنا قسَم _ ولعمري , الإمام يُقسِم هنا يقول : و لَعَمري إنّ ذلك هو الواجبُ على كلِّ مؤمنٍ و مؤمنة _ ثم قال صلوات الله و سلامه عليه : يا سلمان و يا جُندَب _ جُندب هو اسم ابي ذر , ذر هو ولَدُه و يُكَنّى بِاسم ولَده و إلاّ اسمُه الحقيقي جندب بن جنادة _ **يا سلمان و يا جندب ,**

فَقالا : لبّيكَ يا أمير المؤمنين ,

فَقال : صلوات الله و سلامه عليه , إنّه لا يستكملُ احَدٌ الإيمان _ متى يستكمل ؟_ **إنّه لا يستَكملُ احَدٌ الإيمان حتى يعرفَني كُنهَ معرفتي بالنورانية** _ لا يستكمل احَدٌ الإيمان حتى _ قبل قليل قلتُ : الأدلة البرهانية تضَع الإنسان على الطريق , أمّا التعمُّق في المعرفة لا بد من السلوك في طريق المعرفة الحضورية و إلاّ يبقى الإنسان مَحجوبا _ إنّه لا يستكملُ احَدٌ الإيمان حتى يعرفَني كُنهَ معرفتي بالنورانية , **فإذا عرفَني بِهذه المعرفة** _ ماذا يقول الإمام ؟ _ **فقد امتحنَ الله قلبَهُ للإيمان** _ و هذا المعنى (امتحنَ الله قلبَهُ للإيمان) دائما يَرِد في الروايات : **إنّ امرَنا صعبٌ مُستَصعَب , ذَكوانٌ اجرَد لا يحتملُه إلاّ نبيٌ مرسَل او ملَكٌ مُقرَّب او عبدٌ امتحنَ الله قلبَهُ للإيمان** _ هذه المعاني تتناسق مع هذا المعنى المذكور في هذا الحديث الشريف _ فيَقول : فإذا عرفَني بِهذه المعرفة , ايُ معرفة ؟ الإمام ماذا قال ؟ قال لا يستكمل احَدٌ الإيمان حتى يعرفني كُنهَ معرفتي بالنورانية , فإذا عرَفَني بِهذه المعرفة فقد امتحنَ الله قلبَهُ للإيمان , ثم ماذا ؟

_ و شرَحَ صدرَهُ للإسلام _ و تحدَّثنا عن معنى شرح الصدر في دروس القرآن , حينما تحدّثنا عن القلب السليم , و القلب السليم هو القلب المشروح , هو الصدر المشروح الذي شرَحهُ الله , المعاني كلُّها يتناسق بعضُها مع البعض , يتواسَق بعضُها مع البعض _ فَقال : فإذا عرَفَني بِهذه المعرفة فقد امتحنَ الله قلبَهُ للإيمان و شرَحَ صدرَهُ للإسلام و صارَ عارِفا مُستَبصِرا _ حينئذ صارَ عارِفا مُستبصرا _ و مَن قصَّرَ عن ذلك _ يعني مَن قصَّرَ عن البحث و عن الوصول إلى المعرفة النورانية _ و مَنْ قصّرَ عن ذلك فَهو شاكٌّ و مُرتاب _ حتى و إن كان شيعيا _ لماذا ؟ لأنّ الوقوف على حدود الادلّة لا يوَلِّد اليقين في القلب , الذي يوَلِّد اليقين بالقلب المعرفة من هذا الطريق , الوقوف على هذه الادلّة الظاهرية لا يوَلِّد اليقين و لذلك الإمام يقول : (و مَن قصَّر) الذي قصَّرَ من اهل الإيمان و إلاّ الذي يُنكر الإمامة اصلا ليس في دائرة الإيمان , فَهو شاكٌ و مُرتاب , باعتبار الحديث (لا يستكمل احَدٌ إيمانه) الذي يستكمل الإيمان مَن هو ؟ الذي يعرف المعرفة النورانية , أمّا الذي لا يستكمل هو مؤمن لكن ماذا سيَكون ؟ فَهو شاكٌ و مُرتاب _ و إلاّ الشاك و المرتاب هنا ليس للذي خالَفَ الإمام و ابتعدَ عن طريق اهل البيت , قطعا الكلام هنا مع مَن كان على ولاية الإمام صلوات الله عليه _ و لا يستكمل احَدٌ الإيمان إلى آخره , و مَن قصَّر , و مَن قصَّرَ في هذه المعرفة , في معرفتي هذه فَهو شاكٌ و مرتاب .

ثم قال عليه السلام : يا سلمان و يا جندب , فَقالا : لبّيك يا أمير المؤمنين _ تبيَّن المعنى بِشَكل اجمالي في أول الحديث , أمّا في تفاصيل الحديث تَجد التفصيلات موجودة في الحديث الشريف , قلتُ : لو وُفِّقنا في يوم من الايام نشرح هذا الحديث و إن كان الحديث طويل و فيه تفصيلات كثيرة _ ثم قال صلوات الله و سلامه عليه : يا سلمان و يا جندب , معرفَتي بالنورانية معرفة الله عز و جل , و معرفةُ الله عز و جل معرفتي بالنورانية و هو الدين الخالص .. إلى آخر الحديث الشريف , قبل ليالي ذكرتُ لكم مقطع , ذلك المقطع ايضا من هذا الحديث , حينما يقول : يا أبا ذر إنّما انا عبدٌ من عبيد الله _ حينما كان يُحَدّثه _ انّه لا تجعلونا اربابا و قولوا في فضلنا ما شئتُم _ إلى آخر الكلام الذي ذكَرتُه في الليالي الماضية , هذا الكلام ايضا هو مُقتطَف , مقطع آخر من مقاطع حديث المعرفة بالنورانية لأمير المؤمنين عليه السلام

, لكن ماذا يقول ؟ يقول : معرفتي بالنورانية معرفة الله عز و جل , و معرفة الله عز و جل معرفتي بالنورانية و هو الدين الخالص _ يعني الذي يبحث عن الدين الخالص هو هذا الدين الخالص _ هي هذه العقيدة الخالصة _ قال الدين الخالص , و من خلال الحديث الكلام عن معرفة نورانية , الكلام عن معرفة حضورية لا عن معرفة تستند إلى الدليل الكلامي , تستند إلى الدليل الفلسفي و إنّما الكلام هنا مع القلوب و مع ادلّة القلوب و مع شهادة القلوب , مع شهادة الضمائر , مع شهادة البصائر الحديث هنا و لذلك الإشارة في سورة الروم الشريفة : { يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا _ ظاهرا من الحياة الدنيا , يتعلّقون بِهذه الظواهر _ و هُم عن الآخرة هُم غافِلون } تكرار الضمير هنا يفيد تأكيد الغفلة و تأكيد الإبتعاد (و هُم عن الآخرة) الآخرة هنا كما في كثير من كتُب التفسير و في عبارات العُرَفاء : المراد من الآخرة ليس الآخرة الحياة الاخرَوية و إنّما الآخرة الحياة الاخرَوية الموجودة في الدنيا _ يعني هي هذه التي ترتبط بالمعارِف الحضورية , هذه التي ترتبط بالمعارف النورانية { يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا و هُم عن الآخرة هُم غافِلون } و إنْ كان , إذا كان يُقصَد من الآية الآخرة , الآخرة بالنتيجة _ هو حتى الكلام هذا أين نهايتُه , أين غايتُه ؟ غايتُه ايضا يعود إلى الآخرة , بالنتيجة المعاني واحدة و مترابطة , لا اريد ان أُطيل الكلام في هذا المطلب اكثر من الذي ذكَرت لكن أحببت أن أُشير إلى هذه النكتة حتى تتّضح عندكم اهمية هذه المعرفة : المعرفة الحضورية _ و ليس المعرفة الاصلية في تحصيل الادلّة و تحصيل البراهين الكلامية و الفلسفية لأنّ هذه البراهين و هذه المصطلحات لا تصنع شيئا في قلب الإنسان و لا تؤثر شيئا كبيرا في قلب الإنسان , غاية ما فيها أنّها تضَع أقدام الإنسان على أول الطريق , و إذا بقيَ الإنسان مُتعلّقا بها , مرتبطا بها فيَبقى يراوح في اول طريقه , أمّا المعرفة التي تُزيل الحواجب الغواسق عن نفس الإنسان هي هذه المعرفة الحضورية _ هي هذه المعرفة النورانية في التوحيد _ في النبوّة _ في الإمامة _ و في المعاد _ و في سائر المعتقدات التي نعتقدها .

بقيَتْ عندنا مسألة في الدرس الماضي اشرت إليها , لأنّ حديثنا كان عن المعرفة و عن العلم و لا زال في هذا السياق , قلتُ : الذي يريد ان يراجع الروايات الشريفة بِخصوص المعرفة الإلهية يَجد هناك موضوعات أو قُلْ مفاهيم طُرِحَتْ في الروايات يمكن للناظر من أول وهلة , للذي ليس له خبرة

بِكَلام اهل البيت , و اهل البيت قالوا : إنّا لا نَعدّكُم فقهاء حتى تعرفوا معاريضَ كلامنا _ المعاريض يعني الجهات و الكنايات و الحيثيات الموجودة في الكلام _ و قالوا ايضا : إنّا لا نَعُدّ الرَجُل من اصحابنا فقيها حتى يُلحَنَ له في القول فيَعرِفَ اللحن في القول _ يعني يعرف حقيقة المراد من هذا الكلام ؟ فإذا أردنا أن نرجع إلى روايات اهل البيت صلوات الله عليهم اجمعين , الروايات التي تحدّثَتْ عن المعرفة الإلهية , عن معرفة الله سبحانه و تعالى , نَجد أنّ الروايات ربّما الذي ينظر إليها من أول وهلة يَجد هناك تضادّ فيما بين الروايات او تناقض , أُشير إلى العناوين العامة التي وردَتْ في الروايات الشريفة ...

_ نَجد مثلا طائفة من الروايات يُفهَم منها هكذا : أنّ الإنسان يمكنُه أن يعرف الله حقَّ معرفته _ عامة الناس _ حتى عامة الناس _ حتى نحن يعني _ مرادي من عامة الناس يعني من غير اهل البيت عليهم السلام , مرادي من عامة الناس يعني غير اهل البيت عليهم السلام , بِشَكل عام : الأنبياء _ الأوصياء _ العُلَماء _ و عامة الخلق _ باعتبار أنّ لأهل البيت منزلة تفوق سائر منازل البشر , سائر منازل المخلوقات _ و مرادي من عامة الخلق , عامة الناس , من غيرهم صلوات الله عليهم اجمعين , على أي حال , فَورَد في بعض الروايات الشريفة : أنّ الإنسان يتمكن من معرفة الله حقَّ معرفته _ هذا المعنى ورَد .

_ و وردَ في روايات اخرى : أنّ الإنسان لا يتمكن من معرفة الله حقَّ معرفته , مطلقا للإنسان .

_ و وردَ في بعض الروايات : أنّ معرفة الله مخصوصة بأهل البيت .

لاحِظوا : روايات أنّ الإنسان يتمكن من معرفة الله حقَّ معرفته _ روايات تقول : أنّ الإنسان لا يتمكن من معرفة الله حقَّ معرفته _ روايات تقول : أنّ المعرفة خاصة بأهل البيت .

_ روايات تتحدّث _ روايات تتحدّث: أنّ معرفة الله متوَقّفة على معرفة اهل البيت و لذلك : لولانا ما عُرِفَ الله _ لولانا ما عُبِدَ الله _ و بِعبادَتنا عُبِدَ الله _ روايات وردَتْ عن اهل البيت .

_ نَجد روايات تقول : اعرِفوا الله بالله _ نَجد أيضا هذا المعنى في الروايات : اعرِفوا الله بالله _ يعني : أنّ معرفَتهُ غير متوَقّفة على معرفة أهل البيت عليهم السلام { اعرِفوا الله بالله , و الرسولَ بالرسالة } إلى آخر الروايات الشريفة .

_ نَجد أيضا في الروايات الشريفة _ مثل ما موجود : بِعبادَتنا عُبِدَ الله _ و لولانا ما عُرِفَ الله _ نَجد في الروايات ايضا _ و لولا الله ما عُرِفْنا _

_ و نَجد أيضا في الروايات عن سيّد الاوصياء : ما عرفتُ الله بِمحمّد و لكن عرفتُ محمّداً بالله _ صلى الله عليه و آله .

_ و نَجد في الروايات الشريفة : مَن أراد الله بدأ بكُم _ الذي يريد الله , و ماذا يريد من الله ؟ أليس يريد التقرّب , و التقرّب ما هو ؟ أليس هو المعرفة ؟ في الزيارة الجامعة (مَن ارادَ الله بدأ بكم) .

_ و نَجد في الروايات : أنّ معرفة الله هي تصديق الله , تصديق الرسول و موالاة عليٍّ عليه السلام و الائمة و البراءة من اعدائهم .

فنَجد هذه المعاني موجودة في الروايات الشريفة , فَقلتُ : الذي يراجع الروايات , روايات المعرفة باعتبار نحن اصلا , اصل البحث كما بيّنتُ , مسلَكُنا في المباحث العقائدية , قُلنا : الأصل عندنا آيات الكتاب , كلام المعصوم , و إذا قَبِلْنا كلاما لِفَيلسوف او لِكَلامي او لِمنطيق او لِعارفٍ او لِصوفي , إذا قِبِلنا كلامه في حال من الاحوال فلأنّه يوافق كلام المعصوم عليه السلام لا لِحُجّة فيه و إنّما الحجّة علينا _ نحن ليس محجوجين لا بالفلاسفة و لا بالمتكلّمين و لا بالمَناطِقَة _ نحن الآن مَحجوجون بالحجّة بن الحسن العسكري صلوات الله و سلامه عليه , مَحجوجون به و بآبائه , أمّا بِغَيره فلَسنا بِمَحجوجين و لذلك هنا اتناول الكلام في هذه الروايات الشريفة الان بِشَكل اجمالي , و في مطاوي الدروس الآتية تَجدون التفصيل لِهذه المعاني لكن أُعطيكم هذه الصورة الإجمالية عن المعاني التي وردَتْ عن المعرفة الإلهية في الروايات الشريفة المروية عن اهل بيت العصمة , أُعطيكم هذه الصورة الموجزَة حتى إن شاء الله في الليلة الآتية نشرَع في المسألة الثانية من مسائل التوحيد , في مسألة وحدانية الباري إن شاء الله .

قلت : من الروايات ما أشارَ إلى أنّ الإنسان يمكن ان يعرف الله حقَّ معرفته _ من قبيل مثلا : وردَتْ بعض الروايات في هذا الخصوص أُشير إلى واحدة منها , احَدُهم , احَد الاعراب يأتي إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم , يقول : يا رسول الله , علِّمني من غرائب العلم _ واضح معنى غرائب

العلم , الاشياء الغريبة , غير المعروفة , غير الواضحة , النُكَت الدقيقة , هذا المراد من غرائب العلم _ فَقال : يا رسول الله عَلِّمني من غرائب العلم _ فَماذا قال له رسول الله صلى الله عليه و آله ؟ قال : ما صنعتَ بِرأس العلم حتى تسأل عن غرائب العلم ؟ _ هو أنت عرفتَ رأس العلم ؟ غرائب العلم , طرائف العلم , هذه اشياء كمالية , أنت حصّلتَ رأس العلم حتى حينئذ تسأل عن غرائب العلم ؟_ علِّمني يا رسول الله من غرائب العلم , قال : ما صنعتَ بِرأس العلم حتى تسأل عن غرائب العلم ؟ _ يعني هل كُنتَ قد احطتَ علما , احطتَ خُبرا بِرأس العلم ؟ فالإعرابي سأل _ قال : و ما رأس العلم يا رسول الله ؟ قال : معرفة الله حقَّ معرفته _ يعني أنّ الإعرابي بإمكانه ان يُدرِك هذا المعنى , لَمّا النبي صلى الله عليه و آله و سلم يقول له : ما صنعتَ بِرأس العلم حتى تسأل عن غرائب العلم ؟ و يسأل فيَقول : له رأس العلم معرفة الله حقَّ معرفته , هذه الرواية اولاً : تشير إلى حثّ النبي صلى الله عليه و آله للإعرابي و هو حثٌ لِكُل الناس لِتَحصيل رأس العلم , و بيّنَ النبي صلى الله عليه و آله أنّ رأس العلم معرفة الله حقّ معرفته , فإذا كان هناك حث لِتَحصيل هذا المعنى , معنى ذلك أنّ الإنسان يتمكن من إدراك هذا المطلب , أنّه يمكن أن يعرف الله حقَّ معرفته _ و إلاّ إذا لم يكُن الإنسان متمكنا من ذلك , كيف يتحدّث النبي عن هذا المعنى ؟ فَقال : ما صنعتَ بِرأس العلم حتى تسأل عن غرائب العلم ؟ فَقال : و ما رأس العلم يا رسول الله ؟ قال معرفة الله حقّ معرفته ..(إلى هنا ينتهي الوجه الاول من الكاسيت) .

.. حقّ معرفته , النبي بعد ذلك يُبَيّن صلى الله عليه و آله و سلم _ يقول : أن تعرفَهُ بلا مِثل و لا شِبه و لا ند و انّه واحدٌ احَد , ظاهرٌ باطن , أولٌ آخِر , لا كُفوَ له و لا نظيرَ له , فَذلك حقّ معرفته _ و النبي يُخاطبه : أن تعرفَهُ , تلاحِظون أو لا ؟ ليس أن يُعرَف الله هكذا _ لو كان أن يُعرَف الله هكذا لَربّما كانت هذه المعرفة مخصوصة بِبَعض الناس , أمّا يُخاطِبُه : أن تعرفَهُ , لا شِبهَ له , لا مِثلَ له , لا نِدَّ له , واحدٌ احَد , ظاهر باطن , أول آخِر , لا كفوَ له , لا نظير له , فَذلك حقُّ معرفته _ فَمن خلال هذه الرواية يظهر هذا المعنى _ و هناك روايات ايضا تُشابِه هذه الرواية في المضمون , أنّ الإنسان بإمكانه ان يعرف الله حقَّ معرفته .

_ في نفس الوقت _ في نفس الوقت نَجد روايات أخرى تتحدّث : أن الإنسان لا يتمكن من معرفة الله حق معرفته _ و هذا المطلب تقدّم فيما سلَف في مسألة عدم تمكُّن الإنسان من اكتناه الذات الإلهية و كيف أنّ الروايات أصلا : نهَتْنا عن التفكّر لا عن المعرفة , قالَتْ : كلّما ازدَدتُم تفكُّرا كلّما ازدَدتُم تَحيُّرا _ إذا بلغَ الكلام إلى العرش فأمسِكوا _ يعني بعد العرش يكون الكلام عن الله باعتبار أنّ { الرحمن على العرشِ استوى } إذا بلغَ الكلام إلى العرش فأمسِكوا _ لا تَتكلَّموا في الله فإنّ مَن يتكلَّم في الله يتيهُ تَيْها و إلى آخره , يَضِلُّ ضلالا , المعاني التي تقدّمَتْ , لا نُعيد المطالب السابقة لكن اتّضحَ لك من التوضيح السابق أنّ الذات الإنسانية لا تتمكن من اكتناه كُنه الذات الإلهية , هذا المعنى تقدّم فيما سلَف _ فَما عرَفْناك حقَّ معرفتك _ هذا المعنى يَرِد في الروايات الشريفة : { و جعلتَ معرفتكَ بالعجزِ عن معرفتك } هذا المعنى يَرِد في الادعية الشريفة , يَرِد في الاحاديث الشريفة , أنّ الإنسان لا يتمكن من ادراك معرفة الباري حق المعرفة , إذن كيف هذه الروايات تحدّثَتْ عن هذا المعنى و روايات اخرى تحدّثَتْ عن هذا المعنى ؟

قطعا هنا ليس يوجد تَضادّ فيما بين هذه الروايات :

_ لأنّه الطَرز الأول من الروايات التي تحدّثَتْ عن تمكُّن الإنسان من معرفة الله حقّ معرفته : المراد هنا من معرفة الله حقّ معرفته يعني المعرفة الواجبة على الإنسان أو حدود المعرفة التي يتمكن الإنسان من الوصول إليها , المراد هنا من المعرفة : أنّ هذا الإنسان يعرف الله حقَّ المعرفة بِحدوده _ مع حفظ المقامات _ مع حفظ المقامات _ مرادي هنا : (مع حفظ المقامات) أي أنّ الذات الإلهية محفوظ مقامُها , لا تُكتَنه _ و مقام الإنسان , مقام العبدية و العبودية محفوظ له و حدود معرفته محفوظة له _ مع حفظ المقامات _ المقام الإلهي محفوظ , المقام الإنساني محفوظ , كلٌّ بِحَسَبه , فالروايات التي تحدّثَتْ عن مثل هذا المعنى : أنّ الإنسان يتمكن من ادراك و من معرفة الباري حق معرفته _ هذه تتحدّث إمّا عن المعرفة الواجبة على الإنسان _ و الحديث الشريف بِظاهره , بِحسَب الظاهر لا بِحسَب الدخول في بواطن الكلمات , لا , بِحسَب الظاهر يتحدّث : عن معنى التوحيد الذي يجب على كل إنسان مسلم ان يعتقد به , كل إنسان مؤمن يجب عليه ان يعتقد بِهذا القدر من التوحيد _ و إلاّ إذا لا يعتقد لا يكون موَحِّد _ لا بد ان يعتقد انّ الله لا شِبهَ له , لا مِثلَ له

, لا نِدَّ له , واحدٌ احَد , ظاهرٌ باطن , أولٌ آخِر , لا كفوَ له , لا نظيرَ له , لا بد للإنسان المؤمن ان يعتقد بِهذا المعنى حتى يكون حينئذ في دائرة أهل التوحيد .

فَهذه الروايات :

_ إمّا تتحدّث : عن المعرفة الواجبة الضرورية التي إذا ما حصَّلَها الإنسان , يكون الإنسان قد خرجَ من دائرة الكفر او الشرك او الإلحاد او غيرها من الدوائر المذمومة و دخلَ في دائرة التوحيد .

_ و إمّا إذا كان يُقصَد ليس المعاني الظاهرية فقط و إنّما المعاني التي تدرِكها القلوب _ مثلا : المعاني التي يُدرِكها القلب من معنى (الاحَد) من معنى (الظاهر) من معنى (الباطن) غير , بالنتيجة هناك معاني يُدرِكها العقل عن طريق : اللغَة , ما معنى الواحد ؟ للواحد كذا كذا من المعاني _ ما معنى الاحَد ؟ كذا كذا من المعاني _ مَعاني : تستند إلى اللغَة و تستند إلى بعض الموازين الشرعية _ بعض الموازين التي وردَتْ في تحديد عقائد الإنسان الصحيحة و هذه تكون : محفوظة في ذاكرة الإنسان _ محفوظة في ذهن الإنسان _ و يحاول الإنسان قدر الإمكان ان يوَطِّن نفسَه على هذه المعاني , هذا هو القدر الضروري الواجب على الإنسان ان يتعلّمَه , ان يحيط به خبرة و معرفة حتى حينئذ يخرج من الدوائر الضالة إلى دائرة التوحيد _ إذا كان يُراد هذه المعاني الظاهرية فقط .

_ أمّا إذا كان يُراد المعاني التي تستَذوقها القلوب _ تستَشرِبُها الأفئدة _ يعني : أنّ القلب يستشعر معنى الاحَدية _ أنّ القلب يستشعر معنى الظاهر و الباطن _ استشعار لا على نحو الدليل و البحث الرياضي و الكلامي و إنّما استشعار شهودي _ و إنّما استشعار قلبي بِزَوال الحجُب عن القلب _ حينئذ يُراد من مثل هذه الروايات المعرفة الحضورية التي يتمكن الإنسان ان يترَقّى في ارقى مراتبها , فتَكون هذه المعرفة المذكورة في مثل هذه الروايات , الروايات التي تقول : أنّ الإنسان يتمكن ان يعرف الله حقَّ معرفته تتحدّث عن هذا المعنى , عن المعرفة المناسبة لِمَقام الإنسان .

_ و أمّا الروايات التي تقول : أنّ الإنسان لا يتمكن من ادراك كُنه الله _ أو الروايات التي تقول : ما عرَفْناكَ حقَّ معرفتك _ تشير إلى أنّ الذات الإنسانية قاصرة عن ادراك الكُنه و لا نُطيل الكلام في هذا المطلب لأنّنا تحدّثنا عنه فيما سلَف .

_ أمّا الروايات الشريفة التي تحدّثَتْ : عن معرفة الله _ عن معرفة اهل البيت صلوات الله عليهم اجمعين , بالنسبة للأحاديث التي ذكرَتْ : أنّ الله لا يعرفُه إلاّ اهل البيت كالحديث الوارِد , حديث المعرفة الثلاثية : { يا علي , لا يعرفُ الله إلاّ انا و انت , و لا يعرفُني إلاّ الله و انت , و لا يعرِفُكَ إلاّ الله و انا } الحديث المعروف بِحَديث المعرفة الثلاثية _ يعني معرفة الله , معرفة الرسول , معرفة الأمير صلوات الله و سلامه عليه , هذه الاحاديث أو هذه المعاني تريد أن تشير إلى حقيقة :

_ و هو أنّ لأهل البيت عليهم السلام مرتبة خاصة بهم و لَهم معرفة خاصة بهم .

_ و معرفَتُهم تختلف عن معرفة غيرهم .

هذه الأحاديث : ناظرة إلى بيان منزلة اهل البيت _ ناظرة إلى بيان منزلة معرفة اهل البيت التي هي تختلف عن معارِف الناس , أليس : أنّه في خِلقَتهم خُلِقوا صلوات الله عليهم اجمعين من عِلِيّين _ أبدانهم خُلِقَتْ من عِلِيّين , أليس أنّ أبدان ألائمة خُلِقَتْ من عِلِيّين ؟

_ و عقول الأنبياء خُلِقَتْ من هذه الطينة _ يعني المرتبة الحقيقية لأبدان الأنبياء كَمرتِبة عقول الانبياء _ و الأبدان حَواجِب , يعني : ما هو حجاب _ ما هو حجاب عند الناس هو عقل عند الإمام _ تُلاحِظون أو لا ؟

_ الروايات التي تقول : أنّ الأئمة عليهم السلام خُلِقَتْ ابدانُهم من عِلِيّين _ و عقولُهم من طينة فوق عِلِيّين _

_ و أمّا الأنبياء و الشيعة : خُلِقَتْ عقولهم من طينة عِلِيّين _ و أمّا ابدانُهم فَمِن طينة هي دون عِلِيّين .

و هذه أحاديث كثيرة في الكافي الشريف و في غير الكافي الشريف تتحدّث عن هذه , معروفة بأحاديث الطينة , احاديث كثيرة تتحدّث عن هذا المعنى : أبدان الأئمة خُلِقَتْ من طينة خُلِقَتْ منها عقول الانبياء _ عقل إبراهيم الخليل من نفس الطينة التي خُلِقَ منها بدَن أمير المؤمنين عليه السلام .

_ يعني ما كان نوراً _ ما كان سببا لِزَوال الحجُب : باعتبار العقل هو الذي يكون سببا لِزَوال الحجُب , ما كان سبباً لِزَوال الحجُب عند ابراهيم و يرتقي به ابراهيم ابو الانبياء و يرتقي به الانبياء _ و ما

كان حجابا و هو ابدانُهم و ابدان الشيعة , بالنسبة للإمام المعصوم صلوات الله و سلامه عليه ما يُعَدّ حجابا يُعَدُّ عقلا عند الإمام .

_ يعني حتى هذا الذي يُسَمّى : (حجاب) إنّما يُسَمّى (عقل) لأنّه عقول الانبياء خُلِقَتْ من هذه الطينة و ابدان الائمة خُلِقَتْ من هذه الطينة , ليس الآن الحديث عن الائمة و عن منازلهم و ليس الكلام في خصوصيات الائمة , إذا وُفِّقْنا , إذا وُفِّقنا و وصلَ بنا الكلام إلى مباحث الإمامة حينئذ نتكلّم عن الائمة و عن منازلهم صلوات الله عليهم اجمعين بِحسَب ما هُم تكلَّموا به في رواياتهم و اخبارهم و احاديثهم الشريفة صلوات الله عليهم اجمعين .

على أي حال : فأعود إلى كلامي أنّ هذه الأحاديث الشريفة التي ذكرَتْ أنّ _ أنا ذكرتُ إذا تتذكّرون في مباحث الحدود التامة كيف أنّ المخلوقات , كيف انّنا لا نعرف حقائق هذه الاشياء كما ذكرتُ لكم في كلام الفلاسفة , و الإخوان الذين لم يكونوا حضَروا هذا البحث , من ضروريات دروسنا الإستماع إلى هذا المطلب لأنّ هذه مقدمة من المقدمات التي سنَحتاجها في البحث في كل الدروس , الدرس مُسجَّل على الكاسيت و يمكن الإخوان ينتفعون من الشريط المسجَّل في استعادة المبحث الذي ذكَرتُه فيما سلَف قُلت _ هُم الفلاسفة يقولون : نحن لا نتمكن من ادراك هذه الاشياء المحيطة بنا _ و هذه الحدود التامة ليست حدود تامة في الحقيقة و إنّما هي رسوم تامة _ و الرسم لا يكشف عن الحقيقة _ و هذه الفصول إنّما هي خواص كما قال الفلاسفة و المناطِقَة _ هذا الكلام بيَّنتُه , بالنتيجة هو الذي لا يتمكن من ادراك البهائم التي حولَه , يمكن ان يتمكن ان يُدرِك منازل الائمة عليهم السلام ؟

لكن هو قال إمامُنا العسكري : { لَولا آلُ محمّد لَكنتُم مثلَ البهائم } و واقعا هو هذا العنى , هذا المعنى يتَّضح جليّاً في { إن هُم إلاّ كالأنعام بل أضَلُّ سبيلا } ربّما البعض يستغرب من كلام الإمام , هذا الكلام واضح في الكلام القرآني (إن هُم إلاّ كالأنعام) الإمام قال : (لَكنتُم مثل البهائم) أمّا القرآن قال : (أضل سبيلا) و الروايات الواردة عن اهل البيت (إن هُم إلاّ كالأنعام) مَن ؟ الذين يطوفون في كعبة هي غير كعبة عليٍّ صلوات الله و سلامه عليه , الذين تتعلّق قلوبهم بِغَير عليٍّ و آل علي , هؤلاء هُم الذين هم (إكالأنعام بل اضَلُّ سبيلا) القرآن اصلا بيَّنَ المعنى بِشَكل

اشَد , على أي حال , إمامُنا العسكري يقول : { لَولا آلُ محمَد لَكنتُم مثل البهائم ـَ كنتُم كالبهائم } و هذه حقيقة واقعية لأنّ الإنسان , هؤلاء الفلاسفة الذين يمثّلون قمّة التطوّر الفكري , قمّة التطوّر العقلي عند الإنسان يأتون يقولون لا يتمكن الإنسان من ادراك حقائق الاشياء المحيطة به و هذا المعنى شرَحتُه فيما سلَف , يمكن ان تُراجِعَه , على أي حال , فَمُرادي من هذه الروايات التي تتحدّث أنّ أهل البيت هُم الذين يعرفون الله و غَيرُهم لا يعرف , هذه الروايات تشير إلى هذه المعاني , إلى المنزلة الخاصة لأهل البيت , إلى المعرفة الخاصة لأهل البيت التي لا تتمكن عقولنا من معرفة حدودها فضلا عن معرفة حقيقتها , عقولنا لا تتمكن من معرفة حدودها فضلا عن معرفة حقيقتها و اغوارها و بواطنها و ابعادها , على أي حال .

ـ هناك روايات أيضا , كما ذكرتُ قبل قليل , جاءت هكذا تتحدّث , روايات هكذا : أنّه (لَولا الله ما عُرِفْنا) و اظن انّ المقصود واضح , هذه الروايات لا تتعارَض مع المعنى الآخر : انّه (لَولانا ما عُرِف الله) لا يوجد تعارُض فيما بينها , لأنّ هذه الرواية ناظرة إلى حيثية و هذه الرواية ناظرة إلى حيثية , و التناقُض له شروط , انت درستَ في المنطق و إذا لم تكُن قد درستَ في المنطق و في كتُب الفلسفة فارجِعْ إلى كتُب الفلسفة و ارجِع إلى كتُب المنطق : ما كلُ ما ظاهرُه مُتناقِض يُقال له (تَناقُض) التناقُض له شروط , التناقُض لا بد ان يكون في جهة واحدة ـ الكلام هنا في جهات مختلفة ـ الأئمة حينما يقولون : من شرائط التناقُض ان يكون في جهة واحدة ـ من شرائط التناقض عدم امكان اجتماع المُتضادَّين في جهة واحدة ـ يعني الآن لا يجتمع الليل و النهار , مستحيل , المُتضادّان لا يجتمعان , لكن في الجانب الثاني من الكرة الارضية ألا يوجد النهار الآن ؟ يوجد النهار لكن من جهة ثانية , نعم في هذا المكان , ليلٌ و نهار من نفس الجهة لا يجتمع المُتَضادّان , الكلام هنا في الروايات الشريفة ـ شرائط التَضاد ـ شرائط التناقُض واضحة في كتُب المنطق و الفلسفة , يمكن ان تُراجِعَها , إذا كان الكلام من جهة واحدة , من حيثية واحدة و لذلك هذه العبارة كثيرا ما أُكَرّرها , هذه العبارة التي يقولها الحُكَماء : (لَولا الحيثيات لَبَطُلَتْ الحكمة) الحيثيات يعني : الجهات المختلفة ـ الاعتبارات المختلفة ـ اللحاظات المتعددة ـ هذا المُراد من الحيثيات

_ على أي حال فالروايات التي تقول : (لَولا الله ما عُرِفْنا) بالنتيجة لَولا الله ما عُرِفَ اهل البيت صلوات الله عليهم اجمعين (لَولا الله ما عُرِفْنا) هذه الرواية فيها عدّة ابعاد :

_ إمّا المراد أنّ الله سبحانه و تعالى : هو الذي أعطاهم من الفضل و اعطاهُم من الرحمة و اعطاهُم من الكرامة و انزلَ عليهم من الفيض و تجَلّى باسمائه الحُسنى فيهم فَعَرِفَتهُم الخلائق _ لذلك النبي صلى الله عليه و آله , أليس حينما عرَجَ , الملائكة ماذا تقول : ما أشبه هذا النور بِنور رَبِّنا _ أو في بعض الروايات _ أإلهٌ في الأرض و إلهٌ في السماء _ يعني حينما رأوا نور النبي صلى الله عليه و آله يصعد من الارض قالوا : أإلهٌ في الأرض و إلهٌ في السماء _ ما أشبه هذا النور بِنور ربِّنا , فلَمّا كبَّرَ رسول الله كبّرَتْ الملائكة _ هذه الروايات موجودة , إن شاء الله حينما نأتي إلى مباحث النبوّة و نتحدّث عن مقام نبيّنا صلى الله عليه و آله , إن شاء الله نتناول امثال هذه الروايات و امثال هذه المطالب في حينها , لكن مرادي هذا الكلام : انّه (لولانا ما عرف الله _ لولا الله ما عُرِفْنا) المراد هذا : أنّ الله هو الذي تجَلّى عليهم بِفَيضه فَخلَقَهُم فَسبَّحوا حين لا تسبيح و قدَّسوا حين لا تقديس و نزَّهوا حين لا تنزيه _ و خلَقَهُم حيث لا جنة و لا نار و لا شمس و لا قمَر كما تقول الروايات الشريفة الواردة عنهم صلوات الله عليهم اجمعين , فإمّا المراد هذا المعنى أنّه بِفَيضه عليهم الخلائق عرَفَتهُم , الملائكة عرَفوهم من طريق النورية , الانبياء عرَفوهم من طريق الميثاق , سائر الخلائق عرَفوهم عن طريق الانبياء باعتبار كل الانبياء كانوا مقدمة لِنبوّة نبيّنا و ما بُعِثَ نبيٌ من الانبياء إلاّ بِنبوّة نبيّنا و بِوَلاية عليٍّ و الائمة كما في الروايات الشريفة , و هذا المطلب في دروس نهج البلاغة في العام الماضي تحدّثنا عنه كثيرا , على أي حال فَلولا الله ما عُرِفْنا , إمّا يراد هذا المعنى و هذا فيه تفاصيل كثيرة نكتفي بِهذا الموجز الذي اشَرنا إليه .

_ و إمّا يراد :(لَولا الله ما عُرِفنا) يقصد انّه لَولا ان خلَقَهُم _ لولا أن خلقَهُم سبحانه و تعالى و منَّ عليهم بالخلق , و لَمّا خُلِقوا فَظَهروا في هذا الوجود و ظهرَ نورُهم حينئذ الخلائق احسَّتْ بِوجودهم و استشعرَتْ بِوجودهم و هذا المعنى يتناسب مع المعنى السابق .

_ أو المراد : (لولا الله ما عُرِفنا) أنّ الله بلَّغَ على لسان انبيائه بِنَحو عام و على لسان نبيّنا بِنَحو خاص و النبي هو الذي بيّنَ فضلَهُم للناس , ربّما يُراد هذه المعاني و جهات اخرى .

_ أمّا الروايات التي تقول : (لَولانا ما عُرِفَ الله _ لَولانا ما عُبِدَ الله _ و بِعبادَتنا عُبِدَ الله _ و مَن أراد الله بدأ بكُم) هذه الروايات التي تتحدّث عن هذه المعاني , اظن أنّ المقصود فيها واضح , نفس الكلام الذي ذكَرناهُ قبل قليل : المعرفة الحقيقية , المعرفة الواقعية إنّما جاءت من طريق اهل البيت , أليس عندنا في الروايات الشريفة (ما كانَ من حقٍّ في ايدي الناس فَهو من عليٍّ عليه السلام , و ما كان من باطلٍ فَهو من غيره) فالحقُّ من عليٍّ و الباطل من غيره , ما ظهرَ في ايدي الناس , من علمٍ , من قضاءٍ , من حقٍّ , من حديثٍ , من هدىً من الله سبحانه و تعالى فَهو من عليٍّ , و أمّا إن كان من الشيطان فَهو من غير عليٍّ صلوات الله و سلامه عليه و لذلك الائمة يقولون : { فَليُشَرِّق الحسن البصري و لْيُغَرِّب _ فَليذهَبْ شرقا او غربا بِزُهده , بِتَصوّفه , بأحاديثهِ , بِفَلسفته , بِكُل ما يقول _ فَليُشَرِّقْ الحسن البصري و لْيُغَرِّب فإنّ العلم لا يؤتى إلاّ من هاهُنا } و يشير باقر العترة إلى صدره الشريف , فإنّ العلم لا يؤتى إلاّ من هذا البيت , يقصد بالبيت , يعني البيت النبَوي , يعني البيت العلَوي , يعني البيت الفاطمي صلوات الله عليهم اجمعين , فَهذه الروايات التي تقول : (مَن أراد الله بدأ بكُم , لَولانا ما عُرِفَ الله , لَولانا ما عُبِدَ الله) ناظرة إلى هذا المعنى , أمّا ما جاء في بعض الروايات (اعرِفوا الله بالله _ اعرِفوا الله بالله) إن شاء الله هذا الحديث نحن نَشرحُه في مطاوي دروسنا الآتية بِشَكل مُفصّل , لكن بِشَكل إجمالي , مراد : (اعرِفوا الله بالله) و إن اختلفَ الشُرّاح في معنى هذا الحديث لكن المراد الإجمالي (اعرِفوا الله بالله) هي المعرفة الفطرية كما يظهر من الاحاديث و الروايات الشريفة الاخرى (اعرِفوا الله بالله) يُراد منها المعرفة الفطرية (و اعرِفوا الرسول بالرسالة) و إلى آخر الاحاديث الشريفة التي تحدّثَتْ عن هذا المعنى .

أمّا ما جاء في بعض الاحاديث انّهم يسألون الأمير عليه السلام , يسألُه احَدُهم : { اخبِرْني , أعَرِفتَ الله بِمحمّد أم عرِفتَ محمّدا بالله ؟ فالإمام ماذا يقول ؟ يقول : ما عرِفتُ الله بِمحمّدٍ صلى الله عليه و آله و لكن عرِفتُ محمّداً بالله } هذا المعنى يتناسب مع المعاني التي وردَتْ في الروايات الشريفة أنّه : لا تعرِفوا الله بالخلق و إنّما اعرِفوا الخلقَ بالله _ وردَ

عندنا باب في الاحاديث الشريفة أنّه لا تعرِفوا الله بالخلق و إنّما اعرِفوا الخلقَ بالله و لذلك أمير المؤمنين يُبَيّن بعد ذلك _ ليس هذا الحديث يتعارَض مع الاحاديث الماضية _ هذا الحديث ناظر إلى مسألة الخالق و المخلوق , مسألة الخالقية و المخلوقية _ يقول انّه اخبِرْني : أعرِفتَ الله بِمحمّد أم عرِفتَ محمّداً بالله , فيَقول أمير المؤمنين : ما عرِفتُ الله بِمحمّد _ هنا الإمام ليس مُرادَه في هذا المعنى يتَضادّ مع المعاني : (لَولانا ما عُرِفَ الله) الآن إذا نستَمر في الحديث يتَّضح المعنى _ فَقال : ما عرِفتُ الله بِمحمّد و لكن عرِفتُ محمّداً بالله , صلى الله عليه و آله , لَمّا نظَرتُ إليه فَرأيتُ أنّ الله قد خلَقَه , فرأيتُه قد خلَقَه , و جعلَ فيه هذه الحدود من طولٍ و عَرض فَعرِفتُ أنّه مُدبَّر مصنوع . النظر هنا : نظر إلى مسألة الخالقية و المخلوقية _ مسألة العليّة و المعلولية _ ليس النظر : إلى المعرفة القلبية التي كُنّا نتحدّث عنها , و غاية ما _ و غاية ما نريد أن نَصل إليه من هذا البحث في الروايات , المعنى الذي وردَ في الكافي الشريف , حينما تحدّثَ الإمام الباقر , يتحدّث مع ابي حمزة الثمالي , إمامُنا الباقر صلوات الله و سلامه عليه يقول : { إنّما يعبد الله مَن يعرف الله _ الإمام هكذا يقول _ إنّما يعبد الله مَن يعرف الله , فأمّا مَن لا يعرف الله فلا يعبدُه , إنّما يعبدُه هكذا ضلالا _يَعبُده ضلالا , ليس هي العبادة التي يرتضيها الباري _ أبو حمزة الثمالي يقول : جُعِلتُ فداك فَما معرفة الله عز و جل ؟ الإمام يبدأ بالجواب , قال : **معرفة الله تصديقُ الله و تصديق رسوله و موالاة عليٍّ عليه السلام و الإئتمام به و بائمّة الهدى و البراءة إلى الله عز و جل من عدوّهم , تلك هي معرفة الله }.**

معرفة الله التي نُطالَب بها نحن : هي هذه المعرفة , فَمِن هنا يمكن أن نقول : أنّ المعرفة التي يُتحدَّث عنها معرفتان , المعرفة التي يُتحدَّث عنها معرفتان :

_ هناك معرفة : يمكن أن نُسَمّيها **معرفة علمية** .

_ و هناك معرفة : **معرفة إيمانية** , و هي المطلوب منّا .

يعني الآن نحن لو عرِفنا الله _ الآن لو عرفنا الله , عرفنا وجودَه و اقَمنا الادلّة على وجوده سبحانه و تعالى و اقمنا الادلّة على وحدانيته و بحَثنا في صفاته الذاتية , و بَحَثنا في صفاته الفعلية و درَسْنا صفاتَه و درَسْنا أسماءه سبحانه و تعالى , من جهة علمية يمكن أن يُقال لنا أنّ لنا معرفة او علم بالله

_ أمّا هذا لا يُعَدّ إيماناً _ لأنّ الإيمان هذا الذي ذكَرَهُ الإمام : لا بد من تصديق الرسول , لا بد من موالاة عليٍّ صلوات الله عليه . و لَو عرَفنا الرسول و صدَّقنا الرسول فَهذه معرفة علمية , لِحَدّ الآن لم تَكملْ المعرفة الإيمانية , لا بد من إضافة موالاة عليٍّ عليه السلام و الإئتمام به و بائمّة الهدى , حينئذ تَكمُل المعرفة .

لكن هذه المعرفة كاملة _ ناقصة أيضا , هذا الذي جاء للأمير و قال : أُحِبُّكَ و أُحِبُّ فلانا , قال : أما إنّكَ لأعوَر , إمّا ان تعمى و إمّا ان تُبصِر _ لا بد من البراءة ايضا (و البراءة إلى الله عز و جل من عدوّهم) هذه هي المعرفة الإيمانية التي نحن نُطالَب بها _ و واقعا المفروض هكذا تكون كتُب العقائد _ في باب معرفة الله يأتي الكلام عن النبي و نحن هكذا سَنُبوِّب العقائد حينئذ وفقا لِهذه الروايات , أمّا نحن نَجد في كتُب العقائد التَبويب هكذا : و إن كان هذه المسألة قد ربّما يقول البعض انّها ليس بالغة الاهمية , لكنها بالغة الاهمية بانعكاساتها النفسية _ بالنتيجة للمسائل انعكسات نفسية _ و للمسائل ايحاء لا شعوري , و الإيحاء اللاّ شعوري في التربية , في التدريس , في التعليم له اثَر كبير على تربية الإنسان _

_ الإيحاء اللاّ شعوري : هناك إيحاء شعوري _ هناك إيحاء لا شعوري .

هذه المسائل : لَمّا يأتي طالب العلم و يفتح الكتاب فيَجد أنّ التوحيد مُنفَصل عن النبوّة , مُنفَصل عن الإمامة , لَمّا يَجد هذه المطالب هكذا من دون أن توجَد روابط _ أنا ليس إشكالي على تبويب و تفصيل الكتُب , بالنتيجة هذا من المُحسّنات العلمية للمطالب العلمية _ مرادي انّه لا يَجدون ارتباط بين هذه المطالب و لذلك تَجد هذا المعنى : أنّه مَن يقول لا إله إلاّ الله و كأنّه موَحِّد _ بينما الروايات تقول : مَن يقول لا إله إلاّ الله و لا يشهد الشهادة الثانية و لا يعتقد بالائمّة ليس بِمؤمن _ الروايات هكذا تقول : (ليس بِمؤمن) نعم حُكِمَ بإسلامه ظاهرا , لِمَن قالَ الشهادتَين _ و الكتُب الفقهية موجودة يمكن ان تُراجِعَها , يَحكم الفقهاء يقولون : ظاهرا _ للضرورات _ لِدَفع الحرَجية نَحكم بِطَهارتهم الظاهرية , و أمّا واقعا , صاحب الجواهر يقول : هُم انجَس من الكلاب _ ظاهرا نَحكم أنّه في مسألة المُناكَحة و في مسألة المُطاعَمة و المُشارَبة و سائر الامور _ راجِعْ البحث في جواهر الكلام و في سائر الكتُب _ أمّا حقيقة هُم انجَس من الكلاب _ هُم مجوس هذه الأُمّة _

نصارى هذه الأُمّة _ انجس من اليهود و النصارى _ هذا المعنى واضح في الروايات الشريفة الواردة عن اهل البيت عليهم السلام .

مقصودي أنّه في كتُب العقائد : نَجد هناك فَصل بين مباحث التوحيد واضح و كأنّ مبحث التوحيد مُنفَصل , و إنْ كان ربّما من جهة علمية لأجل تَبويب العلم هذا الكلام يُقبَل لكن هذا بالنتيجة ألا يؤثّر عن طريق الإيحاء اللاّ شعوري في نفس الإنسان أنّ التوحيد مُنفَصل عن النبوّة ؟ و أنّ النبوّة مُنفَصلة عن الإمامة ؟ عن طريق الإيحاء اللاّ شعوري هذه الحالة تكون عند الإنسان و لذلك الإنسان الذي يُكمِل دراسة التوحيد يرى نفسَهُ قد اكملَ التوحيد , لماذا هذه الحالة ؟ بينما الروايات تقول : لا _ بينما الروايات تقول : لا _ إنّما يعبُد الله مَن يعرف الله , و مَن لا يعرِفُه فلا يعبُده , إنّما يعبُده هكذا ضلالا , ما معرفة الله يابنَ رسول الله ؟ تصديق الله , تصديق رسوله و موالاة عليٍّ _ يعني هذه مسائل مرتبطة البعض بالبعض الآخر _ و البراءة من اعدائهم صلوات الله عليهم اجمعين _ حينئذ معرفة الله هي هذه , ليس معرفة الله في دراسة مسألة : اثبات وجوده فقط و إقامة الادلّة على وجوده أو في دراسة معرفة الاوصاف أو الصفات , ما يُقال : لها صفات الجمال أو الجلال _ الصفات السلبية أو الإيجابية باصطلاح الكلاميين أو غيرهم _

معرفة الله هي هذه : و هي هذه المعرفة المقبولة و لذلك قلتُ قبل قليل : من خلال النظر في هذه الروايات نَصل إلى هذه النتيجة أنّ المعرفة معرفتان : معرفة علمية يمكن للإنسان الذي يدرس باب التوحيد و يعتقد بِباب التوحيد , نقول : عندَهُ علم بِهذا الباب , أمّا هل هو مؤمن ؟ لا , هل هو عارِف , عرفَ دينَه ؟ لا , لا يُقال له : مؤمن و لا يُقال له : عارِف _ يُقال له : مؤمن .

يُقال له : عارِف بِدينه إذا ما عرفَ هذه الامور و أنّ بعضها يرتبط بالبعض الآخر و لا يمكن أن ينفَكّ التوحيد عن باب النبوّة و لا عن باب الإمامة _ ليس القضية قضية علمية _ نحن هنا نبحث المسألة من وجه ديني , من وجه عقائدي .

فَمعرفةُ الله هي هذه : تصديق الله , تصديق رسوله و موالاة عليٍّ و الإئتمام به و بائمّة الهدى عليهم السلام و البَراءة إلى الله عز و جل من عدوّهم لعنة الله عليه , هي هذه معرفة الله سبحانه و تعالى .

على أي حال تَتمّة الحديث إن شاء الله تأتينا في الليلة القادمة .

إلى هنا يَتُم الكلام في مبحث : التفريق بين العلم و المعرفة _ و ما المراد من المعرفة في روايات اهل البيت أو الروايات التي وردَتْ مختلفة في اعطاء حدود عن المعرفة الإلهية _ إن شاء الله في الليلة الآتية نشرَع في مسألة إثبات وحدانية الله سبحانه و تعالى بِنَفس الاسلوب المتقدّم الذي بحَثنا فيه مسألة إثبات وجوده سبحانه و تعالى .

اسألُكم الدعاء جَميعا و آخر دعوانا ان الحمد لله رَبِّ العالَمين .

ملاحظة :

(1) الافضل مراجعة الكاسيت لاحتمال وجود بعض الاخطاء المطبعية .

(2) و قد تكون بعض المقاطع غير مُسجَّلة من الوجه الاول و الثاني للكاسيت فَيُرجى مُراعاة ذلك

(و نسألُكم الدعاء لِتَعجيل الفرَج)